الحقيقة أنني أستشعر الحالة النفسية لرسول الله ﷺ لَمَّا نزل عليه هذا الأمر الإلهي، إنَّ إحقاق الحق وتنفيذ أمر الله في هذه المسألة سوف يُودي بامرأةٍ لأن تكون مُطلَّقة، وسُيصبح زيد عازباً بعدما كان متزوجاً مستقراً، وستنفصل علاقة رجلٍ بامرأة، وسيخرب بيتٌ بكامله، .... نعم كل هذا سيحصل لأجل أن يُمرِّر الله الحق ويبطل الباطل، ماذا عن المرأة التي كُسر خاطرها؟!، والرجل الذي فقد زوجته، والأطفال الذين فقدوا عائلتهم، والحنان الذي ذهب وترك فراغاً مكانه؟!، ماذا عن كل هذا؟!، الإجابة: ليس لك من الأمر شيء، أنت عليك أن تخشى الله وتلتزم أمره، سبحان الله العظيم الذي خلق كلَّ شيءٍ بقَدَر، لذلك ذُكرتْ قضية التبني في غزوة الأحزاب، ليُقرَّر أنَّ الله إذا أراد أن يُمرِّر سُننه فسوف يُمررها ويحق الحق ويبطل الباطل، ولو كان ذلك من خلال الأنبياء والأولياء، وما كان لهم أن يكون لهم الخِيرة من أمرهم.

استحضرتُ في خضم هذه المعركة التي نخوضها مشاريعَ أهل الباطل بدلا من قضية (التبني)، مثلاً مشروع التطبيع مع الصهاينة، وفكرة استقلال الدول العربية وأنها تملك أمرها، إلى غير ذلك مما لا بد أن يظهر للناس جميعاً أنَّه وهمٌ وباطل!، وحَسِبْتُ أنَّ الله ﷻ يُمرِّر سنَّة إبطال الباطل عن طريق دمائنا وبيوتنا ومُهجنا، ونحن نقول: رضينا يا رب فارض عنَّا، رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً.

ما أشق هذه المصارحات على النفوس، ورحم الله الإمام الحسن البصري حيث يقول عن آية الأحزاب هذه: «ما أُنزلت على النبي ﷺ آيةٌ كانت أشدَّ عليه منها، ولو كان نبي الله ﷺ كاتماً شيئاً من الوحي لكتمها»[1]، لذلك جاء ذِكر إلغاء قضية التبني في الحديث عن حرب الأحزاب، فتدبَّر!.

(1) تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (20/ 273).